

سقوطُ (دولة الرجل المستبد!)..

وعُسر ظهور (رجال دولة ديمقراطيون) في العراق!؟

محمود حمد

يدرك العراقيون على اختلاف أجيالهم ومستوياتهم المعرفية بمرارة معنى (دولة الرجل المستبد!).. لأنهم لم يعرفوا غيرها في تاريخهم وحاضرهم.. ولذلك فهم حينما يُنقَّبون في ماضيهم.. أو أينما يلتفتون في حاضرهم.. أو يُقَلَّبون النصوص السائدة في مكتباتهم وعقولهم يرتطمون بـ (رجل الدولة المستبد!)!!!

ولهذا نسعى وإياكم لإستتطاق الإرث الانساني الحر لإقتطاف الخصال الحضارية المُنتجة التي انجبتها قيم احترام الانسان الفرد بعيدا عن تاريخ مسح الإرادة الحرة للانسان!

ان الحديث عن عُسر ظهور (رجال دولة ديمقراطيون في العراق) في اعقاب (دولة الرجل المستبد!).. يُجبرنا على تصفح الماضي القريب الذي كان فيه (حكام اليوم) قادة لـ (المعارضة) بالأمس!

ويَدفعنا الى تحليل الاسباب والعوامل التي جعلت تلك (المعارضة) عاجزة عن الاطاحة بالدكتاتورية على مدى اكثر من ثلاثة عقود متوحشة..

رغم تعدد طوائفها ، وتنوع عقائدها ، وإختلاف أعراقها ، وتفاقم مظلومياتها..

ورغم خواء النظام.. وانتهاء مبررات وجوده حتى لنفسه.. في اكثر من أزمة من أزmate

المتعاقبة والمتراكمة التي صنعها بنفسه!!

الى ان جاءها (الفرج!) من حيث لا تحتسب (من العناية الـ . بوش . ية) بعد أن تخلت
العناية الآلهية عن العراقيين ..

وقد مدَّت تلك الاسباب التعجيزية الموضوعية أرجلها الى الحاضر ..لثعيق طريق بناء
الدولة الديمقراطية..وتكاد تُحمد احلام العراقيين بمستقبل زاخر بالحرية والرخاء والأمن
.. !!!

مثلما كانت بالأمس عاملاً أساسياً في عجز المعارضة عن اسقاط الدكتاتورية!
وتلك الاسباب الكامنة وراء الإخفاق في اسقاط الدكتاتورية يمكن وضعها تحت مفهوم:
التنافر الموضوعي بين اطراف (المعارضة) المُكَبَّل للارادة والمُعَطَّل للقدرة؟

ولكن لماذا كانت (المعارضة) مُتنافرة ؟ ومُكَبَّلة ؟

ولماذا كانت (المعارضة) متشرذمة في خنادق وولاءات متعددة..وعاجزة عن الفعل
التغييري الحقيقي (رغم مؤتمرات عَفْد الصفقات على . بيع وشراء السمك اللي بالشط .
برعاية امريكية وغير امريكية)..الذي جعلها واهيةً أمام بطش الدكتاتورية !!؟
وبوضوح دون ألبس..

لأن:

1. التناقضات الجذرية بين بعض اطراف (المعارضة) الرئيسية مع البعض

الآخر أعمق من التناقضات بينها وبين (الدكتاتورية)!

2. احد اهم المشتركات بين بعض قوى (المعارضة) والدكتاتورية..هوالتماثل بينهما في عقيدة الاستئثار المُستبد بالسلطة (مهما ضاقت او اتسعت تلك السلطة!!).
3. استرخاص الوطن للوصول الى السلطة او التشبث بها..هو تماثل مشترك آخر بين الدكتاتورية وبين بعض قوى المعارضة!
4. استباحة دماء الناس من المؤيدين او المخالفين في الرأي لتحقيق (النصر الفئوي)..هو احد المشتركات بين بعض قوى (المعارضة) والدكتاتورية!
5. تشابك التاريخ غير المشرف بين بعض قوى (المعارضة) والدكتاتورية.. هو ارث ثقيل لاحق المعارضة وضغط عليها ، وهددها ، ودفعها للتخاذل امام الدكتاتورية ، او كَبَلَّها بالتردد في مواجهتها ، او اصابها بالسكوت عن ممارساتها الاجرامية..لانها شريك في بعضها!
6. وشائج (المعارضة) مع الدكتاتورية الحاكمة انذاك كانت غير منقطعة حتى وهي في أوج (نضالها ضد الدكتاتورية !!) لان معظم قوى (المعارضة) متورطة مع الدكتاتورية في إحدى محطات التعسف وخراب الوطن..
- فهي اما ان تكون :
- جُزءاً منشطراً عن الدكتاتورية!
- او حليفاً سابقاً لها!
- او مُتواطئاً لاغراض انتهازية معها في أحد المنعطفات!
- او مُنتفعاً منها في احدى صفقات التنازل المريب!
- او شريكاً لها في العبث بحياة الناس في دوامة تبادل الادوار!
- او رديفاً لها في تهديد وجود الوطن بذريعة الإلتقاء من نازلة أَلَمَّتْ بهم!

7. الغدر بالحلفاء او النكث بهم او التخلي عنهم وتصفيتهم هي احدى الصفات

المشتركة بين الدكتاتوريه وبعض قوى (المعارضة)!

8. تبديل الولاءات حسب اتجاه الرياح الضاغطة التي تهدد (الكيان!) هي

خاصية مشتركة بين الدكتاتوريه وبعض قوى (المعارضة)!

9. عقد الصفقات الفئويه التي تنتشل . الفئة القليلة . من الغرق على حساب

إغراق الغالبية..هي نهج ثابت للدكتاتوريه ولبعض قوى (المعارضة)!

10. منهج التفرد في القيادة وفي اتخاذ القرارات وفي اقتناص المنافع وجني

الامتيازات..هي اهم الركائز التنظيمية لمفهوم (القيادة) في الدولة

الدكتاتوريه وفي معظم قوى (المعارضة)!

11. الجذور العقائديه والفكرية والتاريخية بين الدكتاتوريه وبعض قوى (

المعارضة) تمتد الى ذات الكهوف الاستبدادية المظلمة..والى ذات سيوف

الاقصاء القاطعة..والى ذات النصوص المُجَوِّفة للعقل!

12. الوساطة التي جاءت بها (الدكتاتوريه) و (المعارضة) من ذات

المنشأ..(الدكتاتوريه جاءت بقطار امريكي دموي مريبٌ حَفِيٌّ)..بينما (

المعارضة) تقرر لها ان تأتي على ظهر دبابات متوحشة تعفّر جسد العراق

الهالك العاري!

• لذلك عجزت (المعارضة) عن ان تكون (معارضة) قادرة.. وصادقة..

ومستقلة الإرادة..وذات مشروع وطني ديمقراطي نقيض للدكتاتوريه!

• فقررت الادارة الامريكية . منذ البدء . احتواء (المعارضة) والتعامل معها..دون

ان تثق بها..او تحسب لها حساباً في رؤيتها الاستراتيجية..بل جعلت من بعضها

وقوداً لتأجيج (الفوضى الخلاقة)!!!..

لأنها لم تجد (معارضة) موحدة الموقف ، ومستقلة القرار ، ومشاركة النوايا ،
وصلبة الارادة ، وواضحة الرؤية وذات برنامج تغييرى مُحدّد المسارات!

- فراحت تبحث عن البديل (الدكتاتور) للدكتاتور!!
- وسرّبت معلومات استخبارية واخرى إعلامية في مناسبات عديدة وفي أكثر من مكان..تتحدث عن طبيعة (البديل للدكتاتور) الذي تريده امريكا..
وحددت مواصفاته العرقية والطائفية والاستبدادية؟!
ودسّت أسماء شخصيات من كبار الضباط كبلاء للدكتاتور في اعصار الحرب
النفسية..

فذهبوا ضحية لتلك الحرب القذرة!!

- اختصر احد الدبلوماسيين الغربيين خلال ايام انتفاضة عام 1991 نوايا الادارة
الامريكية..بقوله:

ان الادارة الامريكية تريد (صدام) ولكن ليس (صدام)!!??

انها تريد نظام صدام بدون صدام!!

وبعد احد وعشرون عاما على ذلك التاريخ وسبعة اعوام على غزو العراق وسقوط
الدكتاتورية..

فان الادارة الامريكية ماتزال تريد (صدام) ولكن ليس (صدام)!!

ومن بين ابرز اسباب ذلك النهج الامريكي الاستخفاي بإرادة العراقيين..هو غياب (
رجال الدولة الديمقراطيون) في عراق الامس واليوم..

الذين يبددون مشهد الدكتاتورية في عيون وعقول العراقيين والعالم!!..

ويطرحون نموذجاً للسياسيين الكفوئين والنزيهين القادرين على اجبار المحتل على احترام ارادة العراقيين وسيادة وطنهم..

ويحققون مشروعاً وطنياً تنموياً متحضراً ينتشلهم من الاحتلال والارهاب والتخلف والبؤس والفساد السياسي والاداري والمالي!

- **وخلاف ذلك فان العراقيين يواجهون منذ الغزو محاولات كاريكاتيرية ودموية لإعادة انتاج (الدكتاتور) حتى ولو (دكتاتور قزم) على شبر من الارض، من قبل العديد من قوى (معارضة) الامس التي دخلت حلبة الصراع فيما بينها على السلطة منذ التاسع من ابريل 2003!**
- **ولكن ماهي مسؤولية الشعب في صناعة (الدكتاتور)!!؟**
- **ولماذا تَعَدَّر انتاج (رجال دولة ديمقراطيون) بعد ان اتحت للعراقيين امكانية اختيار (النظام البديل) عبر صناديق الاقتراع!!؟**
- **ان نَصْفُ الذاكرة المثخنة بالجراح والآلام والإحباط..يستحضر لنا تلك العلاقة بين (الدكتاتور) وضحايا الدكتاتورية..**
- **كان الظهور اليومي في التلفزيون احد مقومات ومؤشرات بقاء سلطة الفرد الراسخة المتوقعة ، بحيث اصبح الدكتاتور يتندر على وسائل الاعلام (المعادية!) التي تتكهن بأسباب غيابه عندما لم يظهر في التلفاز يوماً!!**
- **قتلبدت على . لاوعي . قطاعات واسعة من الناس صورة (المستبد) المُقيم في عقولهم..وغرف نومهم..وألسنتهم..ونواياهم..ومواطئ اقدامهم .. يرصدهم ، وَيُنَقَّبُ عنهم واحداً واحداً ، ويتوعدهم ، ويجمعهم في محشر بعيون الذئب..كي لايفلت احداً منهم الى خارج طغيانه!!**

وبث في نفوسهم الذعر واوحى لهم:

انهم حالما يختفي عنهم يتيهون في البراري طعما لكواسر اكثر توحشاً!..

فصاروا مُذعنين للظلام الموحش الذي يجمعهم!!!

خشية من النهار الساطع الذي قد يُفرقهم!!

مسترشدين بإرث الاجداد اليائسين: (سلطان غشوم ولافتنةٌ تدوم!!!).

• فترسخت تلك الصورة النمطية للحاكم الفرد المطلق في لاوعي الناس الجمعي

، واستكملت شكلها ومضمونها كنمط للعلاقة بين الحاكم والمحكوم..

• فتلاشت الدولة في شخص الحاكم (الدولة هي انا!).. كما يقول لويس الرابع

عشر..

• وعندما ابتعد الحاكم الفرد عن المشهد . التلفزيوني . لاكثر من اسبوع ..حتى

قبل سقوطه الرسمي..

سقطت الدولة وتفككت لانها لم تكن سوى قشرة يابسة متشققة لسلطة الحاكم

الفرد المستبد!

• وعندما اتاحت للـ . عامة . الذين بايعوا صدام بـ99,9% إختيار البديل

للحاكم المستبد بعد رحيله.. صاروا يبحثون عن نمط سائل من . رجل الدولة

المستبد . ولكن بقبعة رأس مختلفة.. لتعبئته في ذات التجويف (الشاغر)

الذي خلفه الدكتاتور في نفوسهم وعقولهم.. ليأخذ شكله ومضمونه ويقتفي

اثره!

فجاءت النتائج مخيبة للأمال..

وولد بدل الصنم الواحد كتيبة من الاصنام ..

وحل بدل السبب الواحد للقتل الجماعي (العداء للحزب والثورة !)

..مئات الاسباب للإبادة الشاملة التي يُفتي بها الارهابيون والذباحون
والمتسلطون والمتخلفون والمتطرفون (اسباب طائفية..واخرى دينية..وثالثة
عرقية..ورابعة مناطقيه..وخامسة قبلية..وسادسة استلابية..وسابعة
وطنية..وثامنة عقائدية..وتاسعة همجية..وعاشرة انتقامية...الخ)!!
ونشأ بدل الحاكم الفاسد الواحد أمةً من الفاسدين!!

• أثبت . تاريخ نشوء ، ونمو ، وانتشار ، وتطبيق ، وتطور الديمقراطية عند
مختلف شعوب العالم . ان ولادة (رجال دولة ديمقراطيون) لايمكن ان
تتمخض إلا عن رحم (مجتمع حر ديمقراطي)، وبإختيار واعٍ من قبل (فردٍ
حر)!

وبخلاف ذلك فإن (الساسة الديمقراطيون الحقيقيون) سيواجهون رفضا
وعُزلة في (المجتمع اللاديمقراطي) كأجسام غريبة تتدافع مع نموذج (
السياسي المستبد) المعشعش في نفوس وعقول . العامة . الذين بايعو
صدام . المستبد . من قبل..وانتخبوا نماذج طائفية وعرقية متطرفة . مستبدة
فيما بعد!!!!

وهنا تكمن مسؤولية الشعب عن:

(إنتاج الطغاة) والإبتلاء بهم!!

او..

غرس ورعاية بذور (رجال الدولة الديمقراطيون).. وإقامة مجتمع حر

عادل ودولة عادلة!!

• وفي هذا المنعطف التاريخي الخطير من تأريخ العراق تتعاضم الحاجة الى (
رجال دولة ديمقراطيون)..

ولكن..

ربما يسأل سائل:

من هم رجال الدولة الديمقراطيون!؟

هل لهم مواصفات محددة!؟

نعم..

انها قائمة طويلة من خصال الوطنية والكفاءة والنزاهة..لكنهم باختصار:

جميع السياسيين الذين يحترمون انفسهم ويحترمون شعبهم (ناخبهم)!

خلال ثلاثة ايام متعاقبة..

قدم لنا ثلاثة من (رجال الدولة) في العالم تعريفا لمعنى (رجل الدولة الديمقراطي)

ك نماذج لاحترامهم لانفسهم ولشعوبهم (ناخبهم):

• (أعلن وزير الدولة البريطاني لشؤون الخزينة ديفد لوز -

وهو من حزب الديمقراطيين الأحرار - استقالته بعد أن كشفت صحيفة ديلي

تلغراف تقاضيه أكثر من أربعين ألف جنيه إسترليني كنفقات غير مبررة، مما

يشكل إحراجا للحكومة البريطانية الجديدة.

وقال لوز في بيان استقالته " لا أرى كيف يمكنني الاستمرار في عملي في الميزانية

ومراجعة الإنفاق في وقت لا بد لي فيه من التعامل مع الآثار الخاصة والعامة لما

كشفت عنه مؤخرا "

ووصف رئيس الوزراء كامبيرون قرار لوز بأنه "مُشَرَّف"، كما عبر وزير المالية جورج

أوزبورن عن حزنه لمغادرة لوز الأليمة).

• 2010/6/1 (أعلن الرئيس الألماني هورست كولر أمس استقالته بعد

تصريحات مثيرة للجدل حول مشاركة بلاده العسكرية في أفغانستان.

وقال كولر في برلين "أعلن استقالتي من مهامي الرئاسية"، موضحا أنه اتخذ هذا القرار بعد أن ربط مؤخرا في حديث لإحدى الإذاعات الالتزامات العسكرية الألمانية في الخارج بالدفاع عن المصالح الاقتصادية لبلاده.

وأكد بعد ذلك أنه أسيء فهمه، مشيرا إلى أن تصريحاته لم تكن متعلقة بالالتزام العسكري الألماني في أفغانستان الذي لا يحظى بشعبية.

وذكر كولر أن هذا يُفقد الاحترام الضروري لأعلى منصب في الدولة)

• 2010/6/2 (أعلن رئيس الوزراء الياباني يوكيو هاتوياما الاربعاء

استقالته رسميا من منصبه بعد تسعة اشهر على تسلمه السلطة.

وقال هاتوياما: " إنني أستقيل وأطلب أيضا من أوزاوا . الامين العام للحزب الحاكم الواسع النفوذ . أن يستقيل ". وافر بأن " عمل الحكومة لم يفهمه الشعب جيدا. لقد فقدنا اصغاءه ".

وكانت استطلاعات الرأي العام قد أظهرت تراجع شعبية هاتوياما منذ وصوله إلى منصب رئاسة الوزراء.

وكان انتخابه قد أنهى نصف قرن من حكم المحافظين في اليابان..

وقد تعهد هاتوياما خلال حملته الانتخابية بمساعدة الفقراء، وجعل السياسة الخارجية اليابانية أكثر تحررا عن السياسة الأمريكية.

أما بعد أن أصبح الاقتصاد الياباني يعاني من الانكماش فقد أصبحت الحكومة اليابانية تخشى ألا تتمكن من الوفاء بوعودها للناخبين.

وقد دخل رئيس الوزراء الياباني في خلافات مع حلفاء بلاده في واشنطن بشأن رغبة اليابان في نقل القاعدة الأمريكية الموجودة في جنوب البلاد من مكانها الحالي).

ان المشترك الاعظم بين (رجال الدولة الديمقراطيون) الثلاثة على اختلاف مناصبهم المرموقة..وتعدد بلدانهم العريقة..وتنوع رؤاهم السياسية..هو:

احترامهم لانفسهم ولشعوبهم (ناخبهم)!!

وهذا هو حجر الزاوية في مواصفات (رجل الدولة الديمقراطي)..الحجر الذي تُبنى عليه كل الخصال الشخصية..والتوجهات الفكرية..والقدرات المهنية..والمستلزمات الانسانية والاخلاقية والوظيفية الاخرى!